بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله علىٰ نبيّه الكريم

«إعزاز الإيمان بإعجاز القرآن»

لشيخنا محمَّد بن محمّد عبد الله بن محمَّد المامي اليعقوبيّ

1 الحمدُ للهِ على الإيمانِ به وفهمِ لُغةِ القرآنِ

2 صلَّى وسلَّم على الهادِي النَّبِي محضِ العُرُوقِ مِن صَميمِ العَرَبِ

3 أفصحِ مَن نطَق بالضّادِ ومَنْ نال مِن اللهِ عظائمَ المِنَنْ

4 وآلِه وصحبِه الّذينا بنُورِ هَدْيِه أقاموا الدِّينا

5 وأَدرَكوا بثاقِبِ الأذهانِ معجزةَ القرآنِ بالبُرهانِ

6 وأنّه أعظمُ مُعجِزاتِ خيرِ الأنامِ المُتواتِراتِ

7 وكونُ نقلِ بعضِها آحادا يَرجِعُ للتّواتُرِ اتِّحادا

8 واللهَ أستعينُ في إنجازِ نظمٍ لبعضِ أوجُهِ الإعجازِ

9 إذْ مَعقِدُ الإعزازِ للإيمانِ مَعرِفةُ الإعجازِ في القُرآنِ

10 طالعتُ فيه كُتُبًا للعُلَما ممّن تأخَّر ومَن تَقدَّما

11 مِن أُدَباءَ ومُفسِّرينا ونُبَلاءَ متكلِّمينا

12 ولم يُصنِّف فيه كالقاضي أبي بكرِ الرِّضا محمّدِ بنِ الطّيِّبِ[1]

13 أختارُ ممّا جمَعوا وأَبدَعُوا والرَّوضُ خِصْبٌ والمَجالُ أوسعُ

* * *

(1) الباقلانِيّ المالكيّ المتوفَّى سنة 403، في كتابِه «إعجاز القرآن».

فصلٌ ممهِّد

14 قد عرَّف الأيمّةُ القرآنا بما حوىٰ إعجازَه تِبيانا

15 فهْو «كلامُ ربِّنا المُنزَّلُ على الرّسولِ المُعجِزُ المُرتَّلُ[1]»

16 ومنتهى البلاغةِ الإعجازُ وهْو الّذي النُّورُ به يَمتازُ

17 وللحديثِ الطَّرَفُ المُقارِبُ وللكلامِ بعد ذا مَراتِبُ

18 وما تحدَّىٰ بالحديثِ القُدُسِي أصلًا، فلا التباسَ عند النَّدُسِ[2]

19 **وجوهُ إعجازِ** القُرَانِ جَمَّهْ ولا خلافَ فيه بين الأُمَّهْ

20 وإنّما الخِلافُ في رُجْحانِ أحدِ تلك الأوجهِ الحِسانِ

21 فبعضُ مَن عيَّن منها وَجْها نَجَهَ ما أَبْدىٰ سِواهُ نَجْها[3]

22 والحقُّ أنّ كلَّها صوابُ[4] وبعضُهم[5] فيه له جَوابُ

23 **موضعُ الإعجازِ** مِن القرآنِ موضعُ الإنسانِ مِن الإنسانِ

* * *

---

(1) أخرج المنسوخ لفظه.

(2) النَّدُسُ بالضّمّ: السّريع الفهم.

(3) النَّجْهُ: الرّدُّ، قال: حُيِّيتَ عنّا أيُّها الوجهُ :: ولغيرِك البغضاءُ والنَّجْهُ

(4) قاله الزّركشيُّ في «البرهان».

(5) بُندار بن الحسين الشّيرازيّ (ت 353)، سُئِل عن موضعِ الإعجازِ مِن القرآن، فقال: «مسألةٌ فيها حَيفٌ على المعنىٰ، وذلك أنّه شبيهٌ بقولِك: ما موضعُ الإنسانِ مِن الإنسان».

فصلٌ في المعجزات

24 فرعٌ عن المُعجِزةِ الإعجازُ[1] وحدُّها الّذي به تَمتازُ

25 خارقُ عادةٍ مع التّحدِّي مِن المُنبَّإِ بلا مَرَدِّ[2]

26 ولفظُ «الإعجازِ» مِن: السُّلطانِ والآيِ والبرهانِ في القرآنِ

27 مضىٰ به مُصطَلَحُ المِلاحِ[3] ولا مُشاحَةَ في الإصطِلاحِ

28 ومُعجِزاتُ الأنبياءِ بحَسَبْ ما في زمانِ كلِّ مُرسَلٍ غَلَبْ

29 لِتَلزَمَ الحُجّةُ في ما مَهَروا فيه بآياتٍ عِظامٍ تَبهَرُ

30 كالسِّحرِ شاع في زمانِ مُوسىٰ والطِّبِّ شاع في زمانِ عِيسىٰ

31 والنّارُ بردًا وسلامًا للخَليلْ عصرَ الطّبيعيّاتِ مِن أقوى الدَّليلْ

32 والمُصطفى الهادي فصاحةُ العَرَبْ في عهدِه بلَغتِ الشَّأوَ العَجَبْ

33 والمُعجِزاتُ بعضُها حِسِّيُّ مشاهَدٌ وبعضُها عقليُّ

34 ومعجزاتُ الأُمَمِ الخَوالي حسّيّةٌ في أكثرِ الأحوالِ

35 وببصائرِ أولي الأبصارِ يُدرَكُ عقليٌّ، وبالإبصارِ

---

(1) بيانُ ذلك: أنّ معجزةَ النّبيّ ﷺ هي القرآنُ الموصوفُ بالإعجازِ، فمعرفتُه فرعٌ عن معرفة المعجزة الّتي هي آيةُ كلِّ نبيٍّ.

(2) أي بلا معارضٍ.

(3) جمع المليح، وصف المَلاحة، وهي الحسنُ، والمراد بهم العلماء.

36 = حِسِّيُّها يُدرَكُ كالإحياءِ وكالعصا وكاليدِ البيضاءِ

37 وذا الهُدىٰ معجزةٌ عقليَّهْ لكلِّ ذي بصيرةٍ جَلِيَّهْ

38 علىٰ ذكاءِ أمّةِ الهادي عَلَمْ[1] ومِن مزيدِ فضلِها على الأُمَمْ

39 ومعجزاتُهم لها انقضاءُ بعصرِهم وهْو له بقاءُ

40 يَقْرَعُ أسماعَ ذوي العِنادِ مِن عهدِه للرَّفعِ والتَّنادي[2]

41 وعجَزوا عنه فما تَصَدَّىٰ قُحٌّ[3] له لمَّا لهم تَحَدَّىٰ

42 بمثلِه ثمّ بعشرِ سُوَرِ ثمّ بسُورةٍ ولو كالكَوثَرِ

43 ولم يكن ذاك لهم في طَوقِ بحالةٍ بل كان فوقَ الفَوقِ[4]

44 فبُهِتوا وأُفحِموا وخَرِسوا وانقَطَعوا، تَحَيَّروا، لم يَنبِسوا

45 إلّا معاندٌ: يقولُ شِعرُ أو إفكٌ اَو تقوُّلٌ أو سِحْرُ

46 فما ارتَجَوا بمثلِه مُعارَضهْ ولا ادَّعَوا في شكلِه مناقَضهْ

47 وكان قولُ النَّضْرِ: قد سَمِعْنا مَينًا ووهْمًا، لو نشا لقُلْنا

48 وقيل: في مَقدورِهم وصُرِفوا عنه[5]، ولا يَقبَلُ ذاك مُنصِفُ

---

(1) أي علامةٌ.

(2) أي يوم التّنادي، وهو يوم القيامة.

(3) عربيٌّ محضٌ.

(4) إشارة إلىٰ أنّ هناك حاجزًا بين كلامِ اللهِ المُعجِزِ وكلامِ البشر.

(5) وهو قول إبراهيم بن سَيّار النّظّام من المعتزلة (ت 231).

49 مَن يدّعي قُدْرتَه؟ مَن يدّعي؟ أيُّ بليغٍ أو خطيبٍ مِصقَعِ[1]؟

50 كم دبَّروا لأمرِه إخفاءْ وحاوَلوا لنورِه إطفاءْ

51 فعجْزُهم بادٍ لكلِّ واعي عن ذاك معْ توفُّرِ الدّواعي

52 قتَّلهم وسفَّه الأحلاما وخاطَروا وقطَّعوا الأرحاما

53 وبَلْهَ[2] ما هَذىٰ به مُسيلِمَهْ فلم تَفُهْ بمِثْلِه أُغَيلِمَهْ

54 بل هَذَرٌ تَمُجُّه الأسماعُ مَجًّا ومنه يَنفِرُ الطِّباعُ

55 ونَفَتِ الرِّكّةُ عنه المَلَكَهْ وصار منه ضُحْكَةً للضُّحَكَهْ[3]

56 وبعضُهم قال: التّحدِّي وقَعا للإنسِ، والجِنِّ ولكن تَبَعا[4]

57 **قلتُ** ـ ولا مَقالَ لي ـ: في ذا نَظَرْ لأنّه استَمَعه منهم نَفَرْ

* * *

(1) بليغ مفوّه.

(2) اسمُ فعلِ أمرٍ بمعنى اترُك.

(3) «الضُّحْكة» بإسكان الحاء: المضحوك منه، وبفتحها: الكثير الضّحك، و«الضَّحَكة» بالفتحتين: جمعُ ضاحكٍ.

(4) أي أنّ الجِنَّ لم يخاطَبوا بالتّحدّي به ابتداءً، بل تبَعًا للإنس.

فصلٌ في أقلّ ما وقع به التّحدّي

58 أقلُّ قدرٍ مُعجِزٍ في أقصرِ سُوَرِه أو قَدرِها كالكَوثَرِ

59 لتتبيَّنَ به البلاغَهْ وفي أقلَّ غيرُ مستساغَهْ

60 وقيل: كُلُّ جملةٍ أو آيَهْ للسَّردِ[1] أو علىٰ سبيلِ الغايَهْ

61 وسُورةٌ منه أقلُّ حَدِّ لِمَا به قد وقَع التّحدِّي[2]

62 وكُلُّ لفظٍ منه في الكلامِ يُنيرُ كالكَوكبِ في الظَّلامِ

* * *

(1) أي باعتبار أنّ القرآنَ مسرودٌ كلُّه، أي متتابع.

(2) وقوله: ﴿فليأتوا بحديثٍ مثلِه﴾ لا يمنع ذلك، لأنّ الحديثَ لا يكونُ في أقلَّ مِن سورةٍ قصيرةٍ.

فصلٌ في نزولِ القرآن وكونِه المعجزة العظمىٰ

63 مَن سَمِع الذِّكرَ بلا اشتِباهِ عَلِم أنّه كلامُ اللهِ

64 وعَتْه في صدورِها الرِّجالُ وليس للرَّيبِ به مَجالُ

65 أفضلُ ما تحرَّك اللِّسانُ به وما يَسطُره البَنانُ

66 طَرَفُه بيدِ ربّي وطَرَفٌ به تَمَسَّكْنا، كما رَوى السَّلَفْ[1]

67 ودحَضتْ حُجّةُ بِدْعِيِّينا لخَلقِه مِن قبلُ مُدَّعينا

68 إذْ صفةُ الكلامِ معنًى أزلِي منسحبُ الحكمِ على المُنزَّلِ

69 وكُفَّ عن كيفيّةِ النُّزولِ فهِي مِن مَواقِفِ العُقُولِ

70 وقِفْ على المَأثورِ في تأويلِ ﴿حتّىٰ إذا فُزِّع﴾ في التَّنزيلِ

71 مِن لوحِه المَحفوظِ للسّماءِ نزَل جملةً بلا استثناءِ

72 في رمَضانَ ليلةَ القَدْرِ، علىٰ ما لابنِ عبّاسٍ نمَتْه النُّبَلا

73 ثمّ علىٰ قلبِ الأمينِ نزَلا به الأمينُ رَسَلًا فرَسَلا[2]

74 لكي يُثبِّتَ به فؤادَهْ ويُوضِحَ الحقَّ لمَن أرادَهْ

75 بلَغ ما بلَغه الفُرقانُ سارتْ في الآفاقِ به الرُّكبانُ

---

(1) هو حديث أبي شريح الخُزاعيّ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «إنّ هٰذا القرآنَ سببٌ، طرَفُه بيدِ الله، وطَرَفُه بأيديكم، فتَمسَّكوا به، فإنّكم لَن تضلّوا ولن تَهلِكوا بعدَه أبدًا». أخرجه ابن أبي شيبة (30006)، وصحَّحه مِن طريقِه ابنُ حبّان (122).

(2) أي قطعةً فقطعةً، وفرقةً ففرقةً.

76 سَلْ عنه مَشرِقيَّهم والمَغرِبِي هل كان إلّا بلسانٍ عَرَبِي

77 ولو حكايةَ مَقالِ الهُدهُدِ والنَّملِ وهْو لبديعٍ قد هُدِي[1]

78 وسَلْ به النَّجديَّ والحِجازِي هل كان إلّا بيِّنَ الإعجازِ

79 فصار كالمَحسوسِ والمَحسوسُ برهانُه في نفسِه مَلموسُ

80 وعَجزُهم يكفيك مِن بُرهانِ معرفةِ التّوحيدِ بالقرآنِ[2]

81 و﴿أوَلم يكفهمُ﴾ كفانا أما كفىٰ إنزالُه القرآنا

82 ما كان يتلو قبلَه كتابا ولا يَخُطُّه، ﴿إذًا لارتابا ...﴾[3]

83 بل كان أمّيًّا كجُلِّ العَرَبِ لم يَعهَدوا مِن مُقرِئٍ أو مَكتَبِ

84 جاء بجملةٍ لِمَا قد حَدَثا مِن خَلقِ آدَمَ إلىٰ أن بُعِثا

85 وكونُه المُعجِزةَ العُظمىٰ كفىٰ فيه بقاؤُه وقولُ المُصطَفىٰ:

86 «وإنّما كان الّذي أُوتِيتُ وحيًا» به الإثباتُ والتّثبيتُ[4]

* * *

(1) نادت النّملة، ونبَّهت، وعيَّنت، وأمرت، ونصَّت، وحذَّرت، وخصَّت، وعمّت، واعتذرت.

(2) قال الباقلانِيُّ معلِّقًا على قول الله: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشرِ سُوَرٍ مثلِه مفترياتٍ وادعوا مَن استطعتم مِن دونِ اللهِ إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنّما أُنزِل بعلمِ اللهِ وأن لا إلهَ إلّا هو فهل أنتم مسلمون﴾: «فجَعَل عجزَهم عن الإتيانِ بمثلِه دليلًا علىٰ أنّه منه، ودليلًا علىٰ وحدانيّته» انتهىٰ.

(3) ﴿إذًا لارتاب المبطلون﴾.

(4) عن أبي هريرة أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «ما مِن الأنبياء نبيٌّ إلّا أعطي مِن الآياتِ ما مثلُه آمَن عليه البشرُ، وإنّما كان الّذي أوتيتُ وحيًا أوحاهُ اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامة»، أخرجه البخاريّ (7274) ومسلم (152). و«الإثباتُ»: إثباتُ المعجزة، و«التّثبيتُ»: تثبيت أهل الإيمان بها.

فصلٌ في معرفة إعجاز القرآن

87 هل يُعلَمُ الإعجازُ بالضّرورَهْ في كلِّ آيةٍ وكلِّ سُورَهْ

88 أو إنّما يُدرَىٰ بالاستدلالِ والأحسنُ التّفصيلُ في المَجالِ

89 إذْ تَتفاوَتُ الفُهومُ بحسَبْ إدراكِ أسرارِ أساليبِ العَرَبْ

90 وهُو في بعضِ القُرَانِ أَظهَرُ أدقُّ في بعضٍ، وكلٌّ يَبهَرُ

91 وضِمنُه الأفصحُ والفصيحُ والأبلجُ الأملحُ والمَليحُ

92 لكونِه جرىٰ علىٰ نَهجِ العَرَبْ والجزلِ مِن كلامِ أربابِ الأدَبْ

93 ولم يُصِبْ مَن أَنكَر المَجازا فيه، فلا يُناقِضُ الإعجازا

94 يدركُه[1] ذو الفطرةِ السّليمَهْ ممّن له الذَّوقُ السّليمُ شِيمَهْ

95 وغيرُه يَدريهِ بالإتقانِ لعلمَي البيانِ والمَعاني

96 وقاصرٌ لم يُجدِه التّعليمُ سبيلُه التّقليدُ والتّسليمُ

97 والعجَميُّ ما له مِن سَبَبِ[2] إلّا بأن يَعلَمَ عَجْزَ العَرَبِ

98 وقيل[3]: يُدرَكُ، وليس يُمكِنُ تصويرُه، عنه تَكِلُّ الألسُنُ

99 كالوزنِ يستقيمُ في المُنتَظِمِ وكالمَلاحةِ وطِيبِ النَّغَمِ

---

(1) أي الإعجازَ.

(2) إلى الإعجاز اللّفظيّ البلاغيّ.

(3) قاله أبو يعقوب السَّكّاكيُّ المتوفَّى سنة 626.

100 ولا تقُلْ: هٰذا كرُؤيا الأبكَمِ[1] ومُشكِلٍ تردُّهُ لمُبهَمِ[2]

101 فأنت في الذَّوقِ به خبيرُ ولو يكونُ يَقصُرُ التّعبيرُ

102 والعَجزُ عن تعيينِ موضعِ الجَمالْ مِن الجميلِ: مِن أدلّةِ الكَمالْ

* * *

(1) من الأمثال المحلّيّة: «حُلُم الأبكم» في ما لا يمكن التّعبير عنه.

(2) يقولون مبالغةً في الخفاءِ: «إشكالٌ يُحال على إبهامٍ».

فصلٌ في خصائص العربيّة

103 في لغةِ العَرَب نيلُ الأَرَبِ فلا لِسانَ كاللِّسانِ العَرَبِي

104 الأفصحِ الأوضحِ في البيانِ الأوسعِ الأوقعِ في الآذانِ

105 رحبُ الدَّلالاتِ على المَعاني لذاك كان لغةَ القرآنِ

106 مُعجِزةٌ[1]، فلا تصحُّ التَّرجَمهْ بالحرفِ في آيِ الكِتابِ المُحكَمهْ

107 وإنّما تكونُ كالتّفسيرِ له فتحتاجُ إلى البصيرِ

108 ثَريّةٌ غزيرةُ الحروفِ[2] والمُفرداتِ جمّةُ الصُّروفِ

109 تدُلُّ بالمَنطوقِ والمَفهومِ والنّصِّ والخصوصِ والعمومِ

110 وبالكناياتِ وبالسِّياقِ وبالتّرادُفِ والاشتقاقِ

111 وباشتراكِ اللّفظِ في ما يُعنَىٰ وزَيدُها حَرْفًا يزيدُ معنىٰ

112 تفوقُ في التّصريفِ والإعرابِ والانسجامِ لُغةُ الأعرابِ

113 وما يجي علىٰ رويٍّ واحِدِ نحوُ الفواصلِ، وكالقصائِدِ

114 وفي اعتدالِ الوضعِ فالمُؤصَّلَهْ[3] أَغلَبُها ثلاثةٌ مُعتدِلَهْ

115 حرفُ ابتداءٍ ثمّ حرفُ وقفِ وفصَلوا بينهما بحرفِ

---

(1) أي لغةُ العربِ مُعجِزةٌ، فلا تبلُغُها لغةٌ أخرىٰ، ونزولُ القرآن بها دليلُ ذلك.

(2) أي اللّغة العربيّة غنيّة بحروف المباني والمعاني ... إلخ.

(3) أي حروف الكلمة الأصليّة.

116 وما يزيدُ غالبًا مِن أصلِيْ لم يخلُ مِن أحرفِ «مُرْ بِنَفْلِ»

117 وإن تَرَكَّبَ تألَّفت جُمَلْ تُكسَى مِنَ اثوابِ البلاغةِ الحُلَلْ

118 وفتَحتْ بابَ المُعرَّباتِ فاحتضَنت قِسطًا مِن اللُّغاتِ

119 رَشْفُ الرُّضابِ[1] مِن لسانِ الضّادِ أطيبُ لَذّةً مِن الشِّهادِ[2]

120 فما جرَىٰ على لِسانٍ وقَلَمْ أحسنُ منها بين ضالٍ وسَلَمْ[3]

121 ليس لمُرتضِعِها فِصالُ[4] ولا عن المُوحَىٰ بها انفِصالُ

122 قيل: هي اللِّسانُ في الجِنانِ[5] وما بها[6] يُتلَىٰ سِوى القُرآنِ

123 منطقُها الرّائقُ يسبي، مُؤنِقَهْ تَجِلُّ عن رَطانةٍ ونَقنَقَهْ[7]

124 أيُّ لسانٍ في «اللِّسانيّاتِ» بذي الجواهرِ الحِسانِ ياتي

* * *

(1) أي مَصُّ الرِّيق.

(2) جمعُ شَهدٍ وشُهدٍ، وهو العسَلُ في شَمَعِه.

(3) من شجر البادية، ابنُ الرّوميّ: هٰذا أبو الصّقرِ فردًا في محاسنِه :: مِن نسلِ شيبان بين الضّالِ والسَّلَمِ

(4) أي فطام، ﴿فإن أرادا فِصالًا﴾.

(5) حديث ابن عبّاس: «أَحِبّوا العرَبَ لثلاثٍ: لأنّي عربيّ، والقرآن عربيّ، ولسان أهل الجنّة عربيّ»، أخرجه الطّبرانيُّ (11441) والحاكم (6999)، فيه العلاء بن عمرٍو الحنفيُّ واهٍ، قال أبو حاتمٍ: «هٰذا كذبٌ».

(6) أي الجِنان.

(7) صوت النَّعام، فال علقمة الفحل: يُوحِي إليها بإنقاضٍ ونَقنَقةٍ :: كما تَراطَنُ في أفدانِها الرُّومُ

فصلٌ في مباينة القرآن لأساليب العرَب

125 أصلُ مقاصدِ فصاحةِ العَرَبْ ثلاثةٌ: شعرٌ رسائلٌ خُطَبْ

126 وفي الأراجيزِ وفي الأسجاعِ تفنَّنوا بمُطرِبِ الأسماعِ

127 تُؤثَرُ عن قُسٍّ وعن سَحبانِ ونُظَرائِهم مِنَ اَهلِ الشّانِ

128 كلامُهم إن أَحسَنوا الكلاما علىٰ دعائمَ ثلاثٍ قاما

129 رَونَقُ لفظِهِ ومعنًى قائِمُ به وتركيبٌ رِباطٌ ناظِمُ

130 منه البليغُ والرّصينُ الجَزْلُ كذا الفصيحُ والقريبُ السَّهلُ

131 مراتبُ التّأليفِ في الكلامِ محصورةٌ في خمسةٍ أقسامِ

132 رَصُّ الحروفِ لتأَلُّفِ الكَلِمْ وجُمَلٌ مِن مفرداتٍ تَنتَظِمْ

133 وجمعُها المَنظومُ ذو المَقاطِعِ وذو الفواصلِ، ادْعُ بالمُسجَّعِ

134 والشِّعرُ ما وُزِن، والخِطابَهْ بالقولِ، والرِّسالةُ الكِتابَهْ

135 وبايَن القرآنُ ذاك أَجمَعا[1] ولمَحاسِنِ الجميعِ جَمَعا

* * *

(1) وهو الّذي اعترف به أربابُ الفصاحةِ مِن العرَب، كقول الوليد بن المغيرة: «واللهِ ما فيكم رجلٌ أعلمَ بالأشعارِ منّي، ولا أعلمَ برجَزه ولا بقصيده ولا بأشعارِ الجنّ، واللهِ ما يشبهُ الّذي يقولُ شيئًا مِن هٰذا».

فصلٌ في الإعجاز البلاغيّ

136 وغايةُ الإعجازِ في البلاغ للنّاسِ في إعجازِه البلاغِيْ

137 فقد تَناهى في البلاغةِ لِحَدّْ عُلِم عنه العجزُ مِن كلِّ أَحَدْ

138 ألفاظُه لِتَلزَمَ[1] انتِصاحَهْ في الغايةِ القُصوىٰ مِن الفَصاحَهْ

139 ورَصفُه وسَبكُه الرّفيعُ أسلوبُه ونظمُه البديعُ

140 ووضعُه لكلِّ لفظٍ مَوضِعَهْ للّهِ ما أَبدَعَه وأَروَعَهْ

141 وكيف لا، فلتتلُ يا ذا الفِكرِ ﴿إنّ الّذين كفَروا بالذِّكرِ﴾

142 فهْو كلامُ مَنْ أحاط عِلْما بكلِّ شيءٍ، مَن يَقِسْهُ أَعْمىٰ

143 فما له بغيرِه مُوازَنَهْ ولم تكن بينهما مُقارَنَهْ

144 ونادرٌ في غيرِ ذي الرِّسالَهْ[2] عذوبةُ الألفاظِ والجَزالَهْ

145 ﴿فاصدَعْ بما تُؤمَرُ﴾ في الكِتابِ سَجَد إذْ سَمِعها الأعرابيْ

146 مِن الفصاحةِ، فذو غَباوَهْ لم يكُ يدري سَجدةَ التِّلاوَهْ

147 واعتَرَفوا أنّ له حَلاوَهْ كما عليه ظهَرت طُلاوَهْ

148 وأنّه يعلو وليس يُعلَىٰ عليه، إنّه كلامُ المَولىٰ

---

(1) أيُّها المخاطَب. و«الانتصاحُ» قَبولُ النُّصح.

(2) من الكتب المنزّلة وغيرها.

149 رَدَّ **البلاغةَ** إلى أنواعِ عشَرةٍ بعضُ الطِّوالِ الباعِ[1]

150 الإيجازُ والتّشبيهُ الاستعارَهْ وبعضُهم[2] كَرِه ذي العِبارَهْ

151 فواصلٌ تلاؤُمٌ رصينُ تجانُسٌ تصريفٌ التّضمينُ

152 كذا المُبالغةُ أو حُسنُ البيانْ وكم لها مِن الجواهرِ الحِسانْ[3]

* * *

(1) أبو الحسن عليّ بن عيسى الرّمّانِيّ، المتوفَّى سنة 384، في «النّكت في إعجاز القرآن».

(2) كالقاضي عبد الوهّاب بن عليّ بن نصر البغداديّ، المتوفَّى سنة 422.

(3) أي كم لهذه الأنواع العشَرة مِن الفروع الّتي هي كالجواهر الحسان.

فصلٌ في الإعجاز المعنويّ

153 الإعجازُ لفظيٌّ ومعنويٌّ في النُّورِ كلٌّ منهما جليُّ

154 في حسنِ نظمِ دُرِّه النَّثيرِ بأفصحِ اللُّغات، والتّأثيرِ

155 حسبُك مِن أوصافِه الجمعُ الّذي جمَعه منها حديثُ التِّرْمِذيِّ[1]

156 يحلو مع التَّكرارِ، لا يُمَلُّ سماعُه، تاليه لا يَضِلُّ

157 ونورُه لكلِّ قلبٍ يَسري موفَّقٍ[2]، ميسَّرٌ للذِّكرِ

158 وليس يَخلُقُ على التَّردادِ والنَّفسُ تَسأمُ مِن المُعادِ

159 ما زال في الألسُنِ والأسماعِ غَضًّا طريًّا شافِيَ الأوجاعِ

160 لم يَختَلِفْ، فبعضُه يُصدِّقُ بعضًا وفي مضمونِه يتّفقُ

161 منهاجُه متّحدٌ مِن أوَّلِهْ إلى انتهائِه علىٰ تَشَكُّلِهْ

162 تَناسَبَ القَصَصُ والأوامرُ والوعدُ والوعيدُ والزّواجرُ

---

(1) حديث الحارث الأعور عن عليّ مرفوعًا: «كتابُ الله، فيه نبأُ مَن قبلكم، وخبَرُ ما بعدكم، وحكمُ ما بينكم، وهو الفصلُ ليس بالهزلِ، مَن ترَكه مِن جبّارٍ قصَمه اللهُ، ومَن ابتغى الهُدىٰ في غيرِه أضلّه اللهُ، وهو حبلُ اللهِ المتينُ، وهو الذّكرُ الحكيمُ، وهو الصّراطُ المستقيمُ، هو الّذي لا تزيغُ به الأهواءُ، ولا تَلتبسُ به الألسنةُ، ولا يشبعُ منه العلماءُ، ولا يَخلقُ علىٰ كثرةِ الرّدِّ، ولا تنقضي عجائبُه، هو الّذي لم تنتهِ الجِنُّ إذ سمعتْه حتّىٰ قالوا: ﴿إنّا سمعْنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرُّشد﴾، مَن قال به صدَق، ومَن عمل به أُجِر، ومَن حكَم به عدَل، ومَن دعا إليه هَدىٰ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ» أخرجه ابنُ أبي شيبة (30007) والتّرمذيُّ (2906) وقال: «حديثٌ غريبٌ، لا نعرفُه إلّا مِن هٰذا الوجه، وإسنادُه مجهولٌ، وفي الحارث مقالٌ» انتهىٰ.

(2) بالجرّ، صفةٌ لـ«قلب»، و«ميسَّرٌ» بعده مرفوعٌ خبرُ محذوفٍ.

163 وعِبَرٌ وحُجَجُ الجِدالِ مواعظٌ والضّربُ للأمثالِ

164 وضربُ الأمثالِ له تأثيرُ في النّفسِ وهْو في الهُدىٰ كثيرُ

165 يُنزِّلُ البعيدَ للنّفوسِ مَنزلةَ المُشاهَدِ المَحسوسِ

166 إعجازُه قد شَمِل الأعصارا وجمَع العلومَ والأسرارا

167 وحِكَمًا بالغةً لا تَصدُرُ مِن بشَرٍ والباعُ عنها يَقصُرُ

168 وكلُّ ما فيه مِن الأحكامِ به قِوامُ الخلقِ ذو إحكامِ

169 جُمِع فيه علمُ الأوّلينا والآخرين، حكمةً ودِينا

170 كلُّ زمانٍ ومكانٍ صالِحُ له ففيه الهَدْيُ والمَصالِحُ

171 وهْو الكفيلُ بقِيامِ النُّظُمِ ومصدرُ التّعليمِ والتّعلُّمِ

172 أَخبَرَ عمّا تَستُرُ الضّمائرُ عن النِّفاقِ كُشِف السّرائرُ

173 إخبارُه عن القرونِ الخاليَهْ إخبارُ حاضرِ القضايا المَاضِيَهْ

174 كقصدِ موسىٰ مَجمعَ البحرينِ وفتيةِ الكهفِ وذي القرنينِ

175 والصّدقُ في الإخبارِ عمّا ياتي مِن الحوادِثِ المُغيَّباتِ

176 كغَلَبِ الرُّومِ لمَن قد راما ﴿لَتَدخُلُنّ المَسجدَ الحراما﴾

177 وفاؤُه بالوَعدِ، كالتّمكينِ والنّصرِ واستخلافِ هٰذا الدِّينِ

178 ومَن يقل: ذي أوجُهٌ جُزئِيَّهْ فقل: لها دَلالةٌ كُلِّيَّهْ

179 تَبِينُ بالمَعالِمِ السَّبيلُ ويهتدي ببعضِها النّبيلُ

180 وربُّنا بحفظِه تَكفَّلا فلن يُغيَّرَ ولن يُبدَّلا

181 ﴿إنّا له لحافظون﴾ أُكِّدا بخمسةٍ[1] بها الدّوامُ أُبِّدا

* * *

(1) هي: «إنّ»، وجمعُ التّعظيم، واسميّة الجملة، واللّام، وتقديم المتعلّق «له».

فصلٌ في الإعجاز التّأثيريّ

182 قُطْبُ رَحَىٰ بلاغةِ القُرْآنِ في نظمِه وصِحّةِ المَعاني

183 براعةٍ[1] غرابةِ الأسلوبِ وشِدّةِ الرَّوعةِ في القلوبِ

184 جُلُودُ مَن يَخشَون منه تَقشَعِرْ ثمّ تَلِينُ والقلوبُ تَعتبِرْ

185 وبسماعِه الكثيرُ أَسلَما وتاب قومٌ وأنابوا ندَما

186 وخَرَّ قومٌ قرءوه قَتْلىٰ ومات قومٌ سمعوه يُتلىٰ

187 جُبَيرٌ ابنُ مُطعِمٍ تلا النّبيْ ﴿والطُّورِ﴾ وهْو في صلاةِ المَغرِبِ

188 فكاد قلبُه يَطِيرُ إذْ سَمِعْ ﴿أم خُلِقوا مِن غيرِ شيءٍ﴾ وفَزِعْ

189 وجاء في روايةٍ: ﴿لواقِعٌ﴾ فصدَّعتْه: ﴿ما له مِن دافِعٌ﴾

190 وقال إذْ سَمِعَها الأوّابُ: خَشِيتُ أن يُدرِكَني العذابُ

191 وعُمَرُ الفاروقُ يُروَىٰ أنّهُ قد عِيدَ[2] حين أنّ منها أنّهُ

192 وأنّه أَسلَم لَمّا أن تَلا سورةَ طه، فاهتدىٰ وبَجّلا

193 وفي جوابِ عُتبةَ المَريدِ قال النّبيُّ لأبي الوَلِيدِ

194 «فرَغتَ، فاسمَعْ»، وتلا مُبسمِلا ﴿حمَ ... فُصِّلتْ﴾ لها مُرتِّلا

---

(1) البراعة في ما يذكره أهل اللّغة: الحذق بطريقة الكلام وتجويده.

(2) عشرين يومًا، في خلافته.

195 وعندما بلَغ ذكرَ الصّاعِقَهْ وثَب مِن خوفِ الوُعُودِ الصّادِقَهْ

196 ورام إسكاتَ النّبيِّ، ناشَدَهْ باللهِ والرَّحِم، بل ألقىٰ يَدَهْ

197 وإذْ أتاهم بسِوى الوجهِ الّذي مَضَىٰ به وسألوا قال البَذِيُّ:

198 ما هو بالشِّعرِ ولا الكِهانَهْ فلتَترُكوا محمّدًا وشانَهْ

199 والفُصَحا لكثرةِ الصّوارِفِ وللشَّقاءِ الأزليِّ السّالِفِ

200 مِن بينِهم مَن سَمِع القرآنا فازداد رِجْسًا وأبى الإيمانا

201 فبالهُدىٰ بعضُ القلوبِ يقسو وبعضُها يلينُ، فهْو شَمسُ

202 بنورِه إن تَتناهَ النّفسُ في الخُبْثِ يشتدّ العَمىٰ والرِّجْسُ

203 وإن تَطِبْ تُشفَ وتَزدَدْ رَشَدا ﴿قل هو للّذين آمَنوا هُدىٰ ...﴾

204 والشّمسُ حرُّها يُذِيبُ الشَّمْعا ويَعقِدُ المِلْحَ، فأَلقِ السَّمْعا[1]

* * *

(1) في «تفسير الخازن»: «قيل: إنّ النّفسَ إذا كانت خبيثةَ الجوهرِ كَدِرةَ العُنصر بعيدةً عن قبولِ الحقِّ، فإنّ سماعَها لذكرِ اللهِ لا يزيدُها إلّا قسوةً، وكدورةً، كحرِّ الشّمسِ، يلينُ الشَّمَعَ، ويعقِّدُ الملحَ، فكذلك القرآنُ يلينُ قلوبَ المؤمنين سماعُه، ولا يزيد الكافرين إلّا قسوةً»، وأصلُه للرّازيّ في «مفاتيح الغيب».

فصلٌ في جامع الإعجاز

205 إنّ كلامَ اللهِ جَلّ واسعُ وحْيٌ لأنواعِ العلومِ جامعُ

206 لا تَعتَقِدْ أنّ المَعانيْ تُحصَرُ في كلِّ ما يَذكُرُه مَن فسَّرُوا

207 فلا يزالُ النّاسُ يَفهَمونا منه المَعارفَ ويُلهَمونا

208 وكلُّ مَن أُوتيَ فهمًا يُقبَلُ إن يكن اللّفظُ له يَحتمِلُ

209 وما أبىٰ عنه لِسانُ العَرَبِ مِن ذاك باتّفاقِهم عنه أُبِيْ

210 لآيِه ظهرٌ، وبطنٌ، وسَطَعْ للحرفِ حَدٌّ، ولِحَدٍّ مُطَّلَعْ[1]

211 كم آيةٍ مِن الكِتابِ تَشهَدُ لآيةٍ كونيّةٍ تَجَدَّدُ[2]

---

(1) عن ابن مسعودٍ ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال: «إنّ القرآنَ أُنزِل علىٰ سبعةِ أحرفٍ، لكلِّ آيةٍ منها ظهرٌ وبطنٌ، ولكلِّ حدٍّ مطَّلعٌ»، أخرجه أبو يعلىٰ (5149) والطّحاويُّ في «شرح مشكل الآثار» (3095) والطَّبرانيُّ (10107) وفي «الأوسط» (773)، وإسنادُه صحيحٌ متينٌ، رجالُه رجالُ مسلمٍ.

وأخرجه أبو عبيدٍ في «غريب الحديث» (4/ 136) والطّبرانيُّ (8667)، مِن طريقِ شعبة، عن سلمة بن كهيلٍ، عن أبي الأحوصِ، عن عبدِ الله قال: «لكلِّ حرفٍ حدٌّ، ولكلِّ حدٌّ مُطّلَعٌ». وهٰذا موقوفٌ صحيحٌ.

و«المُطَّلع» بتشديد الطّاء وفتح اللّام، كما يتبيَّن مِن «غريبِ الحديث» لأبي عبيدٍ، وفيه باختصارٍ: «معناه: لكلِّ حدٍّ مَصعَدٌ يُصعَد إليه، ومَأتًى يُؤتىٰ منه، في معرفةِ علمِه، ومنه قولُ جرير بن الخطَفىٰ:

إنّي إذا مُضَرٌ عليَّ تحدَّبت لاقيتُ مُطَّلَعَ الجبالِ وُعُورا

يعني مَصعَدَها، يُقال: مُطّلَعُ هٰذا الجبلِ مِن مكانِ كذا وكذا، أي مَصعَدُه ومَأتاه» انتهىٰ.

قال سهل بن عبد الله التُّستَريّ في «تفسيره»: «فالظّاهرُ: التّلاوةُ، والباطنُ: الفهمُ، والحدُّ: الحلالُ والحرامُ، والمُطّلعُ: إشرافُ القلبِ على المرادِ بها فقهًا مِن اللهِ ﷻ» انتهىٰ.

(2) أي تَتجدَّدُ، بتاءين، حذفت إحداهما تخفيفًا.

212 كقولِه: ﴿كأنّما يَصَّعَّدُ﴾ وشِيمَ[1] مِن ﴿بضعِ سِنِينَ﴾ العَدَدُ[2]

213 و﴿مَرَجَ البحرين﴾ ﴿أنزلنا الحديدَ﴾ والمُستجَدّاتُ تزيدُ وتَزِيدْ

214 وللغَزاليِّ أتىٰ والرَّازِيْ مِن ذاك ما يَشهَدُ للجَوازِ

215 وسَدَّ بابَه الإمامُ الشّاطِبِيْ[3] لِمَا به يُخشَىٰ مِن المَعاطِبِ

216 وضبطُه حتمٌ علىٰ مَن سَلَكا أغوارَه، ﴿لا تَقفُ ما ليس لَكا﴾

* * *

(1) شِيمَ: أي عُلِم، وأصلُه النّظر إلى البرق.

(2) جمعوا ما دلّت عليه حروف «بضع سنين» بحساب الجُمّل، الباء باثنين، والضّاد بتسعين، والعين بسبعين، والسّين في عدّ المغاربة بثلاث مئة، والنّون بخمسين، والياء بعشرة، والنّون بخمسين، فكان مجموع ذلك 572، وأخذوا مِن لفظِ «البضع» ـ وهو إلى التّسعة في اللّغة ـ تسعةً، وجبَروا الكسرَ بعشَرة، فكان ذلك 582، وهو سنة استرجاع بيت المقدس. وهٰذا الاستخراجُ كما ترىٰ.

(3) وتابعه شيخ الأزهر محمود شلتوت.

فصلٌ في إعجاز فواتح السّور

217 بيانُ إعجازِ فواتِح السُّوَرْ وسِرُّها تقاصَرتْ عنه الفِكَرْ

218 قيل: إشاراتٌ وتنبيهاتُ والحقُّ: هنّ مُتشابِهاتُ

219 علىٰ مرادِ اللهِ آمَنّا بها ولا نطيقُ الكشفَ عن نِقابِها

220 والعُرْبُ لو لم يَعرِفوا مَدلولا لها لَمَا أَصغَوا لها قَبولا

221 بحذفِ ما كُرِّر منها: أَربَعَهْ عَشَرَ تلك الأحرفُ المُقطَّعَهْ

222 نصفُ الثّمانيةِ والعِشرينا[1] وضِمنُها «طه» كذا «ياسينا»[2]

223 تسعٌ وعشرون مِن الفواتِحِ[3] راضتْ أنوفَ العَرَبِ الجَحاجِحِ[4]

224 ففي الّذي ذُكِر في ذي السُّوَرِ دَلالةٌ على الّذي لم يُذكَرِ

225 نصفٌ وفيها نصفُ كلِّ جِنسِ كالحلقِ والشِّدّةِ ثمّ الهَمسِ[5]

226 مِن واحدٍ لخمسةٍ لا أَزيَدَا (ومنتهى اسمٍ خمسٌ إن تَجَرَّدا)

227 بل كلُّ حَرْفٍ هو منها كَلِمَهْ بما مِن الثّوابِ كلُّ عَلِمَهْ[6]

---

(1) أي أحرفِ الهجاء.

(2) نبّهتُ عليهما، لشهرةِ أنّهما اسمان للنّبيّ ﷺ.

(3) أي السّور الّتي افتتحت بها.

(4) جمعُ جَحْجاحٍ، وهو السَّيّد.

(5) أي فيها نصف حروف الحلق، ونصف حروف الشّدّة، والهمس، والجهر ... وبقيّة الصّفات.

(6) الحديث، وفيه: «لا أقول: ألم حرف، ولكن: ألفٌ حرف، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرف».

228 واقتَرَنت بالذِّكرِ للقرآنِ أو ذكرِه ولو بلا اقترانِ

229 كأنّه بها يُنادي العَرَبا: إنّ الهُدىٰ مِن هٰذه تَرَكَّبا

230 عجَزتُمُ عنه فلا تَرتابوا لذا تشيرُ: ﴿ذٰلك الكِتابُ ...[1]﴾

* * *

(1) ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾.

فصلٌ في الإعجاز الرّسميّ

231 الإعجازُ في الرّسمِ عن الدَّبّاغ[1] شاع ولا يقولُ مِن فراغ[2]

232 ولم أقفْ لأوَّلِ الأسلافِ على صريحٍ مثبِتٍ أو نافي[3]

233 والخطُّ عند جِلّةٍ توقيفيْ[4] وقد تَواتَر بلا تحريفِ

234 وعُدَّ مِن ثلاثةٍ أركانِ تُلحَظُ في قراءةِ القرآنِ

235 وهْي احتمالُ الرّسمِ، صحّةُ السَّنَدْ وِفاقُ وجهٍ عَرَبِيٍّ يُعتمَدْ

236 وربطُهم لرسمِه بلفظِهِ ووضعُهم لضبطِه مِن حفظِهِ

237 ورسمُه بحسَبِ المَعاني وجَّه الاختلافَ فيه الدّانيْ[5]

238 وحُكِي التّوجيهُ بالإعلامِ بالأحرُفِ السَّبعةِ عن أعلامِ[6]

---

(1) عبد العزيز بن مسعود الدّبّاغ المتوفّى سنة 1131.

(2) وعقده ابنُ مايابى في «كشف العمى والرَّين» بقولِه:

والخطُّ فيه معجزٌ للنّاسِ وحائدٌ عن مقتضى القياسِ

لا تهتدي لسِرِّه الفحولُ ولا تحومُ حولَه العقولُ

قد خصَّه اللهُ بتلك المَنزِلهْ دونَ جميعِ الكتُبِ المنزَّله

ليَظهَرَ الإعجازُ في المرسومِ منه كما في لفظِه المنظومِ

(3) عن الكسائيّ وغيره: «في رءوسِ الآيِ عجائبُ، وفي خطِّ المصحفِ عجائبُ وغرائبُ، تحيَّرت فيها عقولُ العلماءِ، وعجَزت عنها آراء الرّجال البلغاء». ذكَره الأندرابيُّ في «الإيضاح في القراءات».

(4) وممّن خالف في ذلك الباقلانِيُّ وعزّ الدّين بن عبد السّلام.

(5) حسَب ما في «شرح كشف العمى والرَّين» لابن مايابى، وهو مشهورٌ عن المرّاكشيّ.

(6) منهم أبو عبد الله حسن بن عليّ الرّجراجيّ الشّوشاويّ، ت 899.

239 وهِي أوجُهٌ بها جِبرِيلُ عارَضه ليَحصُلَ التّسهيلُ

240 وردَّها الحُذّاقُ في الكتابِ إلىٰ لُغاتِ العُرْبِ والإعرابِ

241 وذا علىٰ وجهٍ به الإعجازُ وجودةُ الرَّصفِ فيُستَجازُ

242 لا أن يُبدِّلَ بما يَظهَرُ لَهُ ﴿قل ما يكونُ ليَ أن أُبَدِّلَهُ﴾

243 وقولُه: «أقرأني جِبرِيلُ»[1] و«هٰكذا أُنزِلت»[2] الدَّليلُ

* * *

(1) حديث ابن عبّاس أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «أقرأني جبريلُ علىٰ حرفٍ، فراجعتُه، فلم أزل أستزيدُه ويزيدني، حتّى انتهىٰ إلىٰ سبعةِ أحرفٍ»، متّفق عليه، البخاريّ (4991) ومسلم (819).

(2) حديث عمر في قصّته مع هشام بن حكيم، قال النّبيُّ ﷺ عقب قراءةِ كلٍّ منهما: «هٰكذا أُنزِلت»، ثمّ قال: «إنّ هٰذا القرآنَ أُنزِل علىٰ سبعةِ أحرفٍ، فاقرءوا ما تيسَّر منه»، البخاريّ (5041) ومسلم (818).

الخاتمة

244 والحمدُ للهِ علىٰ إنجازِ ما رُمتُه مِن أوجهِ الإعجازِ

245 مقتصرًا منها على الأهَمِّ في رَجَزٍ كالبَرَدِ المُنهَمِّ

246 يَحلُو سماعُه وتشتفي المُقَلْ إن طالعَتْه، (وليُقَسْ ما لم يُقَلْ)

247 واللهَ أدعو: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْما﴾ وللهُدىٰ تعاهُدًا وفَهْما

248 أستغفرُ اللهَ مِن التّقصيرِ فيه سميري مؤنسي نصيري

249 يا ربِّ فاجعلْه لنا إماما وشافعًا مشفَّعًا خِتاما

250 صَلِّ علىٰ مَن ختَم الرِّسالَهْ رُحْمىٰ تَعُمُّ صحبَه وآلَهْ

تمّ ليلة الجمعة ليلة التّروية مِن سنة 1445، بنواكشوط[1].

* * *

(1) قال خبيبٌ الواضحيُّ ناسخُه مِن نصِّ الشّيخِ وراويه عنه ومذاكرُه إيّاه: فرَغتُ مِن نسخِ الكتابِ ثمّ عِراضِه الشّيخَ في التّاريخِ المذكور، ببيتي في حيِّ ابن واضح.

ثمّ قرأتُه عليه للتّصحيح، وتعهَّدْناه مرّاتٍ أُخَر، وفرَغنا صبيحةَ الأربعاءِ ثالث أيّام التّشريق، غيرَ مراجعاتٍ كثيرةٍ كانتْ بعد ذلك. نفع الله به.